

الحلقة (١٨)

موضوع الحلقة: تفسير الآيتين (١٨٣) (١٨٤) من سورة البقرة.

يقول الله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}

قوله تبارك وتعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ} يأمر الله تعالى عباده المؤمنين ويخاطبهم أمراً لهم بالصيام وهو: الإمساك عن الطعام والشراب والوقاع وسائر المفطرات بنية من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، والصيام في اللغة: الإمساك وترك التنقل من حال إلى حال. ويقال للصمت صوم لأنه إمساك عن الكلام، قال تبارك وتعالى مخبراً عن مريم {إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً} أي سكوتاً عن الكلام، والصوم ركود الريح وهو إمساكها عن الهبوب.

❖ فضل الصيام:

فضله عظيم وثوابه كثير فالله جل وعلا قد اختصه بنفسه قال الله عز وجل في الحديث والقدسي (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به) الخ.

قال العلماء وإنما خصّ الصوم بذلك، وإن كانت العبادة كلها له، لأمرين باين الصوم بهما سائر العبادات:

١. أن الصوم يمنع من ملاذ النفس وشهواتها مالا تمنع منه سائر العبادات، يمنع الأكل والشرب والجماع وغير ذلك من المفطرات.

٢. أن الصوم سرٌّ بين العبد وبين ربه لا يظهر إلا له، فلذلك أصبح مختصاً به وما سواه من العبادات ظاهر، فلربما فعل شيء من العبادات تصنعاً ورياء، فلهذا أصبح الأجر أخصّ بالصوم من غيره.

قوله تبارك وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ} ذكر جلّ وعلا: أنه كما أوجبه على هذه الأمة فقد أوجبه على من كان قبلهم، فلهم فيه أسوة فليجتهد هؤلاء في أداء هذا الفرض أكمل مما فعله أولئك.

وقد اختلف أهل التفسير في موضع التشبيه في قوله {كما كتب على الذين من قبلكم}، التشبيه

يرجع إلى من ؟

له عدة أقوال:

• القول الأول: قال الشعبي وقتادة التشبيه يرجع إلى وقت الصوم وقدر الصوم، فإن الله تعالى كتب على قوم موسى وعيسى صوم رمضان فغيروا، وزاد أحبارهم عليه أياماً، وغيروه عن وقته، وقال مجاهد كتب الله صوم شهر رمضان على كل أمة فأخذت الأمم بالوثيقة فصاموا قبل الثلاثين يوماً وبعدها

يوماً، قرناً بعد قرن حتى زادت عليهم الأيام.

• **القول الثاني:** أن التشبيه راجع إلى أصل وجوبه على من تقدم، لا في الوقت والكيفية، التشبيه في الأصل أنه واجب فهو واجب علينا في هذه الأمة.

• **القول الثالث:** أن التشبيه واقع على صفة الصوم الذي كان عليه من منعهم من الأكل والشرب والنكاح، فإذا حان الإفطار فلا يفعل هذه الأشياء من نام، وكذلك كان في النصارى أولاً، وكان في أول الإسلام ثم نسخ لقوله تعالى: {أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثَ إِلَى نِسَائِكُمْ}.

• **القول الرابع:** قال معاذ بن جبل وعطاء التشبيه واقع على الصوم لا على الصفة ولا على العدة، وإن اختلف الصيامان بالزيادة والنقصان والمعنى {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ} أي في أول الإسلام ثلاثة أيام من كل شهر، ويوم عاشوراء، {كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ} وهم اليهود، لكن هذا القول فيه نظر وليس عليه دليل، **والصحيح أصل الصوم فرض علينا كما فرض على أولئك.**

قوله تبارك وتعالى: {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} هذه أهم حكمة ومصلحة من مصالح الصيام، وهو تحقيق مقام التقوى لله جل وعلا، قال أهل العلم لأن الصوم فيه تزكية للبدن وتضييق لمسالك الشيطان.

ولهذا ثبت في الصحيحين (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) قيل المعنى تتقون: أي تضعفون، فإنه كلما قل الأكل ضعفت الشهوة، وكلما ضعفت الشهوة قلت المعاصي، وقيل لتتقوا عن المعاصي، وقيل هو على العموم، وهذا هو الصحيح، أن الصوم كما قال صلى عليه وسلم: "هو جنة"، أي أنه حاجز يمنع الإنسان من الوقوع فيما حرم الله تبارك وتعالى، وهذا هو الفائدة المرجوة، فمن أهم حكم الصيام: تحقيق مقام التقوى لله سبحانه وتعالى.

آية (١٨٤) قال تبارك وتعالى {أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}

قوله سبحانه وتعالى {أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ} اختلف في نصب أيام، ف قيل هو منصوب لأنه مفعول ثانٍ لكتب {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ} وقيل نصب على الظرف بكتب أي: كتب عليكم الصيام في أيام إما أنه مفعول ثاني أو ظرف سيان.

{أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ}: المراد بها شهر رمضان، يقول العلماء هذا مما يدل على سرعة انقضاء الشهر، وهذا من باب التسهيل والتحبیب للطاعة، أن شهر رمضان ليس طويل ليست أشهر، شهر واحد أيام معدودات تنقضي عن قريب.

قوله تبارك وتعالى {فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً} المريض كما قال العلماء له عدة أحوال:

١، أن يكون مرضه لا يرجى برؤه كصاحب السرطان ونحوه، فلا يجب عليه الصيام لأنه لا يستطيعه،

والله جلّ وعلا يقول {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} وقال سبحانه: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}، لكن يجب عليه أن يطعم بدل الصيام عن كل يوم مسكيناً، لأن الله سبحانه جعل الإطعام معادلاً للصيام حين كان التخيير بينهما أول ما فرض الصيام، فتعين أن يكون بدلاً عن الصيام عند العجز عنه لأنه معادل له، ويختار في الإطعام بين أن يفرقه حباً على المساكين، لكل واحد مد من البر، ربع الصاع النبوي، ووزنه أي المد نصف كيلو، وعشر غرامات بالبر الرزين الجيد، وبين أن يصلح طعاماً فيدعوا إليه مساكين بقدر الأيام التي عليه، هذا إذا كان مرضه لا يرجى برؤه لا يجب عليه الصوم ويطعم بدله.

٢، أن لا يشق عليه الصوم ولا يضره فيجب عليه الصوم لأنه ليس له عذر يبيح الفطر.
٣، أن يشق عليه الصوم ولا يضره فيه مشقة ولا ضرر شديد فيفطر، لقوله تعالى: {فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ} ويكره له الصوم مع المشقة، لأنه خروج عن رخصة الله وتعذيب لنفسه وفي الحديث (إِنَّ اللَّهَ يَجِبُ أَنْ تَوْقِي رَخْصَهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تَوْقِي مَعْصِيَتَهُ) رواه أحمد وابن حبان وغيرهما.

٤، أن يضره الصوم فيجب عليه الفطر ولا يجوز عليه الصوم، لأنه يقتل نفسه والله جلّ وعلا يقول: {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} وقال تعالى: {وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} وقال عليه الصلاة والسلام (إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا) رواه البخاري.

٥، لو حدث له المرض في أثناء نهار رمضان وهو صائم وشق عليه الإكمال جاز له الفطر لوجود المبيح للفطر.

٦، لو برأ في نهار رمضان وهو مفطر لم يصح صوم ذلك اليوم إذا كان قد أفطر في أوله ولم يبيت النية فإنه لا يقبل له، وأيضاً إذا كان يجلب له المرض أو يؤخر برؤه وجب عليه أن يفطر، فإنه لا يجوز له أن يشق على نفسه.

قوله تبارك وتعالى: {فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ} اختلف العلماء في السفر الذي يجوز فيه الفطر والقصر بعد إجماعهم على جواز الفطر في سفر الطاعة كالحج والجهاد، ويتصل بهذين سفر صلة الرحم وطلب المعاش والمباح فهذه جائز فيها الفطر.

لكن سفر العاصي اختلف فيه بالجواز والمنع والقول بالمنع رجحه ابن عطية وجماعة من أهل العلم، وأيضاً إذا قصد بسفر التحيل على الفطر، وهناك قول آخر يجوز له الفطر مادام أنه مسافر حتى ولو كان في سفر معصية، يبدأ الرخصة إذا غادر بنيانه قال الإمام أحمد يفطر إذا برز عن البيوت لكن مادام أنه في البلد لا يجوز له أن يأخذ رخص السفر، ومن رخص السفر الفطر في نهار رمضان، مسافة القصر فيها خلاف قديم حديث، وهي كما عليه اللجنة الدائمة للإفتاء والشيخ ابن باز ٨٠ كيلو متر في السفر.

قوله تبارك وتعالى: {فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ} المفسرون يقولون هنا الحذف والتقدير: أي من كان منكم مريضاً أو مسافراً فأفطر فعليه عدة من أيام آخر، والجمهور من العلماء على أن أهل البلد إذا صاموا تسعة وعشرين يوماً وفي البلد رجل مريض فإنه يقضي تسعة وعشرين يوماً ولا يأخذ شهر، يعني يأخذ بحسب عدة ما وجد بذلك الشهر، فالله قال {فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ} ولم يقل عليه شهر آخر، فلو أفطر يوم يومين يقضي هذه الأيام، ولو أفطر الشهر كاملاً ٢٩ يقضي ٢٩....

قوله تبارك وتعالى: {مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ} لم ينصرف "آخر" ممنوع من الصرف للوصفية والعدل، بعض أهل العلم استفاد من قول الله تعالى {فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ} أنه لم ينص على التتابع فأخذ منه العلماء أنه يجوز للإنسان أن يقضي ما أفطره من رمضان ولو مفزاً لآجر عليه.

استفادوا من قوله عز وجل {فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ} وجوب القضاء من غير تعيين لزمان لأن اللفظ مسترسل، لا يختص بزمان دون زمن، وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت (كان يكون علي صوم من رمضان فما أستطيع أن أقضيه إلا في شعبان للشغل من رسول الله أو برسول الله صلى الله عليه وسلم) وفي رواية (وذلك لمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم).

← **مسألة** جمهور أهل العلم أن من أفطر في رمضان لعلة فمات من علته تلك، أو سافر ومات في سفره أن لا شيء عليه، واختلفوا في من مات وعليه صوم من رمضان ولم يقضه، فذهب الإمام مالك والشافعي والثوري أنه لا يصوم أحد عن أحد، وقال الإمام أحمد وإسحاق وأبو ثور وأهل الظاهر يصام عنه إلا أنهم خصصوه بالنذر، واحتج من قال بالصوم بما رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من مات وعليه صيام صام عنه وليه) إلا أن هذا عام في الصوم، يخصه ما رواه مسلم أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنه قال (جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن أُمِّي قد ماتت وعليها صوم نذر وفي رواية (صوم شهر) أفأصوم عنها؟ قال: (أرأيت لو كان على أمك دين فقضيته أكان يؤدي ذلك عنها قالت: نعم قال: فصومي عن أمك) وقد احتج مالك ومن وافق بقوله {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} وقوله {وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى} فمن مات وعليه صوم في النذر صام عنه وليه، أما القضاء في رمضان إن رغب أوليائه الصوم تبرعاً وإن لم يرغبوا فلا حرج عليهم.

قوله تبارك وتعالى: {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ} في قوله تعالى {يُطِيقُونَهُ} قراءتان: قرأ الجمهور كذلك {يُطِيقُونَهُ} وقرأ ابن عباس: {يُطَوَّقُونَهُ}، والراجح وهذا الصحيح إن شاء الله: أن هذه الآية منسوخة. {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ} كان في أول الإسلام الصيام على التخيير، إما أن يصوم وإما أن يفطر ويطعم عن كل يوم مسكيناً، هذا في أول الإسلام ومن ثم بعد ذلك نُسخ وأمر الناس بالصيام، وهناك رأي لابن عباس رضي الله عنهما وهو قول في الحقيقة الصحيح يقول: إن الآية ليست منسوخة هو نسخ التخيير لكن بقي حكم، وأنها للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة في السن لا

يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا، وهذا الصحيح الآن وعليه الفتوى أن الجملة بقيت في حق الرجل الكبير والمرأة الكبيرة في السن أنهما يفطران ويطعمان عن كل يوم مسكينا.

قال الحافظ ابن كثير: فحاصل الأمر أن النسخ ثابت في حق الصحيح المقيم بإيجاب الصيام عليه، لقوله: {فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} هذا نسخ ما سبق، من كان مقيما وصحيحا فعليه الصوم، وأما الشيخ الهرم الذي لا يستطيع الصيام فله أن يفطر ولا قضاء عليه، لأن ليست له حال يصل إليها يتمكن فيها من القضاء.

ولكن هل يجب عليه إذا أفطر أن يطعم عن كل يوم مسكينا؟

فيه قولان للعلماء:

• **الأول:** أحدهما لا يجب عليه إطعام لأنه ضعيف عنه لسنه، فلم يجب عليه فدية كالصبي لأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها.

• **الثاني:** وهو الصحيح وعليه أكثر العلماء أنه يجب عليه فدية عن كل يوم، كما فسره ابن عباس وغيره من السلف، انتهى كلام الحافظ ابن كثير، أقول: أن الآية باقية في حكم الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة، أنهما يفطران ويطعمان عن كل يوم مسكينا، أما في حق الصحيح المقيم الصيام الذي ليس له عذر في أن يفطر فإن الصيام واجب، في حقه وقد نسخ بقول الله عز وجل {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} وهذا الكلام اختاره الإمام البخاري رحمه الله فإنه قال: وأما الشيخ الكبير إذا لم يطق الصيام فقد أطعم أنس بعد ما كبر عام أو عامين عن كل يوم مسكينا خبزاً ولحماً وأفطر.

الضمير في قوله تعالى: {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ} اختلف، هل هو يعود على الذين يطيقون الصيام؟ أو على الذين يطيقون الصيام أن يطعموا إذا أفطروا؟ ثم نسخ بقوله وأن تصوموا؟ يجوز هذا ويجوز أن يعود على الفداء أي وعلى الذين يطيقون الفداء فدية، وعلى الذين يطيقون الصيام أن يصوموا أو وعلى الذين يطيقون الفدية أن يفتدوا.

قوله تبارك وتعالى {فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ} اختلف بالمراد بهذا على أقوال:

• **القول الأول:** قال ابن عباس: أي فمن تطوع خيراً فزاد طعام مسكينا آخر فهو خير له.

• **القول الثاني:** قال مجاهد من أطعم المسكين صاعاً، الواجب عليه مد لكن لو فرضاً أعطى المسكين صاع هذا من تطوع الخير.

• **القول الثالث:** أن معناه من تطوع خيراً فصام مع الفدية، لكن الصحيح العموم كما اختاره الإمام الطبري رحمه الله: قال والصواب من القول في ذلك عندنا أن الله سبحانه وتعالى ذكره، عمم بقوله فمن تطوع خيراً، فلم يخص بعض معاني الخير دون بعض، فإن جمع الصوم مع الفدية من تطوع الخير، وزيادة مسكين على جزاء الفدية من تطوع الخير.

قوله تبارك وتعالى {وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} أي وأن تصوموا ما كتب لكم شهر رمضان خيراً لكم من أن تفتروا وتفتدوا، وكان هذا في أول الأمر، ولكن ثم نسخ ولله الحمد، والأمر على الوجوب إلا في حق من له عذر، فهذا له تفصيل، {إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} خير الأمرين لكم أيها الذين آمنوا من الإفطار والفدية أو الصوم على ما أمركم الله به، هذا في أول الإسلام ونسخ بعد ذلك {فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} فكان ركن من أركان الإسلام، وفي هذا الأجر العظيم والثواب الجزيل.